تقـــديم

التاريخ فى عصرنا الحاضر يشكل جزءا مما يسمى بالعلوم الإنسانية . وما تسمى بالعلوم الإنسانية ، موضوع بحثها الإنسان « آدم وبنوه » ، وكان من الطبيعى أن تكون محكومة ، منهجا وموضوعا ، ومفهوما ، بالنظام الذى ارتضاه الخالق رب الإنسان للإنسان ، على اعتبار أن الخالق أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير .

وبدلا من أن تكون العلوم ـــ التى موضوع بحثها الإنسان كالتاريخ والجغرافيا وعلم النفس وعلم الاجتماع ـــ محكومة وموجهة بالنظام الإسلامى الربانى ، الذى شرعه الله لبنى البشر ، وبلّغه لهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ختاما بمحمد ﷺ ، نجد أنها محكومة منهجا وموضوعا ومفهوما ، بمناهج وتوجيهات غير إسلامية تعتمد على أصول جاهلية تحتوى على عداء ظاهر وخفى للاتجاه الدينى عموما وللاتجاه الإسلامى على وجه الخصوص .

وقد حدث ذلك نتيجة الغزو الفكرى الذى حرص ـــ كما قدمنا ـــ على تجاهل رب الكون ، وتزييف وتشويه تاريخ الكون ، وتاريخ بنى آدم عموما والتاريخ الإسلامى على وجه الخصوص والذى يشمل تاريخ الدين الإسلامى ، وتاريخ الأمة الإسلامية الواقع التطبيقى لهذا الدين [1] .

والذين قاموا ويقومون على هذه الغزوة الفكرية تمهيدا للسيطرة السياسية والاقتصادية ـــ والعسكرية ـــ على بنى آدم ، هم أطراف الكيد الشيطانى والتآمر العالمى ومنهم المستشرقون الذين يدينون بغير الإسلام يعاونهم جيش كبير ممن تتلمذ على أيديهم .

---

(١) دراسات فى سيرة النبى محمد ﷺ تأليف محمد نايف ، منهج كتابة التاريخ الإسلامى لماذا وكيف تأليف الدكتور جمال عبد الهادى والدكتورة وفاء محمد رفعت ، دار الوفاء للطباعة والنشر بالمنصورة ، الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء للمؤلفين دار الوفاء للطباعة والنشر ، بالمنصورة ، ودار طيبة بالرياض .

وهؤلاء جميعا يهدفون إلى ماحذّر الله سبحانه وتعالى منه أمة محمد المسلمة منذ أربعة عشر قرنا من الزمان : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾ (١) ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾ (٢) ﴿ **ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** ﴾ (٣) .

ولذلك فقد جاء كل الإنتاج الاستشراقى فى مجال تاريخ الكون وتاريخ الدين ، والتاريخ الإنسانى على وجه العموم والتاريخ الإسلامى على وجه الخصوص ، معدا لتحقيق ذلك الهدف الذى يحرص عليه أطراف الكيد الشيطانى والتآمر العالمى .

فالمشتغلون بالتاريخ من المستشرقين ومن سار على نهجهم يتجاهلون الخالق عز وجل ، فهم لا يقرون بأن لهذا الكون خالقا ، متصفا بكل صفات الجلال والكمال ، ومستحقا للعبادة ، ولا يرون فى هذا الكون ، سوى المخلوقات المادية الملموسة ، كالسموات والأرض والنجوم والجبال والشجر ... إلخ . أى أنه لا وجود فى تصورهم الذى انطلقوا منه لكتابة تاريخ البشرية ، للملائكة أو الشياطين ولا وجود للرسالات أو الرسل أو الوحى أو الكتب السماوية ، أو البعث أو الحساب ، أو الثواب أو العقاب ، أو الجنة أو النار ، وأن الكون هكذا وجد ، أوجد نفسه بنفسه (٤) .

كما أن نظرة هؤلاء المشتغلين بالدراسات التاريخية إلى الإنسان الذى أدّى ويؤدى دورا فى هذه الحياة منذ أقدم الدهور ، على أنه من نسل قردة مذنبين وأن بدايته هى الخلية الحية التى نشأت فى البرك والمستنقعات ، والتى تطورت عبر ملايين السنين مُروراً بجد مشترك للإنسان (٥) هو القرد ونهاية بالإنسان الحالى .

---

(١) البقرة : ١٢٠ . (٢) البقرة : ٢١٧ . (٣) النساء : ٨٩ .

(٤) انظر تاريخ العالم الذى أشرف على إعداده هامرتن ، وتاريخ العالم الذى أشرف على إعداده لانجر ، ومعالم تاريخ الإنسانية لولز وماتسمى بدائرة المعارف الإسلامية وقصة الحضارة لديورانت على سبيل المثال ؛ وكل ما أعد من دراسات فى مجال التاريخ القديم والدراسات الأثرية . فجميعها تسير فى خط معاد للتصور الدينى عموما وللتصور الإسلامى على وجه الخصوص (منهج كتابة التاريخ الإسلامى وبه دراسة عن الغزو الفكرى فى مناهج التاريخ) .

(٥) بهذا يقول رالف لنتون فى كتابه شجرة الحضارة ترجمة الدكتور أحمد فخرى ، ص ٢٧ ـــ ٣٠ . والعجيب أن ادولف أرمان فى كتابه ديانة مصر القديمة ، ترجمة الدكتور محمد أنور شكرى ، والدكتور محمد عبد المنعم أبو بكر ص ٤ ، يذهب إلى أبعد من ذلك فيعتبر أن الحيوان هو النموذج السلوكى الذى نسج على منواله الإنسان ، وفى هذا يقول المؤلف «لقد استطاع الإنسان أن يميز نفسه عن الحيوان بصفات عدة استمدها فى أول الأمر مما يحيط الحيوان من =

ماذا يترتب على ذلك التفسير اللادينى لتاريخ الكون والإنسان ؟ :

وبمعنى آخر فإن تاريخ البشر لا يبدأ ـــ عند هؤلاء ـــ بآدم عليه السلام ، فآدم أسطورة وخرافة ، ورب آدم رب العالمين لا وجود له ....

أى أن الحكمة من خلق آدم وبنيه قد انتفت ، والتكليف الربانى لآدم وذريته ، قد تبدد ، أى أنه لا ضابط للإنسان من دين أو خلق ، أو حلال أو حرام ، ولا عقل يجعله مسئولا عن تصرفاته وبالتالى فلا حساب ولا عقاب ، ولا خطأ ولا صواب ، إنما يجرى على الإنسان مايجرى على الحيوان ، فمثلا إذ عدت دولة على دولة أخرى فروعت أهلها ، وقتلت

= انفعالات : فصراخ الحيوان ، ومناداة الذكر للأنثى ، تطورتا عند الإنسان وجعل منها لغة التخاطب ، كما أن غريزة التجمع عند الحيوان فى قطيع ، هى التى دفعت الإنسان إلى إنشاء الأسرة ، ومنها تكونت الدولة . أما ذلك الدافع المُبْهم عند الحيوان ، للإبقاء على النسل فهو الذى أنمى العاطفة ودفع الإنسان إلى الزواج ، وكذلك كان الشعور الغريزى بالخوف والفزع عند الحيوان من كل ماهو مجهول ، سببا دفع الإنسان إلى احترام كل القوى التى تؤثر فى حياته ، دون أن يتعرف كنهها ، ومن هذا الشعور بعينه نشأت الديانة التى لم تكن إلا الاعتقاد المسيطر على ذهن الإنسان من أن هناك قوى تحيط بالإنسان وتؤثر فيه ، وهكذا وصل المستشرق ادولف أرمان بالإنسان إلى مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان ، ولم نجد من المترجمين وهما من أبناء المسلمين تصحيحا من خلال العقيدة الإسلامية لمفهوم الكاتب المنحرف ادولف أرمان الذى يردد فى كتابه أيضا « أنه لا صلة للأخلاق بالدين ، ص ١٧٧ » .

وحيوانية الإنسان أو أصله الحيوانى تقول « موسوعة تاريخ العالم » جـ ١ ص ٣ : « ينبغى أن يكون التاريخ فى أوسع معانيه سجلا للإنسان وأعماله منذ أن تحول من حيوان إلى إنسان » .

وللأسف أن د / مصطفى زيادة الذى ترجم هذا الجزء من الموسوعة لم يعلق من قريب أو بعيد على فكرة تعارض العقيدة الإسلامية عن الإنسان . انظر أيضا نفس المرجع ، ص ٢٥ .

وبنفس الفكرة تقول موسوعة « معالم تاريخ الإنسانية » ، المجلد الأول ص ٦٢ تحت عنوان « القردة وأشباه الإنسان والإنسان » : « كان موضوع أصل الإنسان وعلاقته بالحيوانات الأخرى مثار جدال ونقاش شديد ، طيلة السنوات الأخيرة ، والرأى السائد بين العلماء أنه (أى الإنسان) انحدر من أسلاف أدنى منه مرتبة ، شأنه فى ذلك شأن سائر الثدييات ، وأنه والقردة الكبيرة ، ومنها الشامبانزى والأورانج أو تانج والغوريللا ، كان لها جميعا يوما ما جد مشترك ، وأن هذا الجد قد تطور من أشكال أدنى منه أيضا ، أى من نمط من أنماط الثدييات القديمة ، انحدر هو أيضا من زاحفة ذات هيئة حيوانية ، وهذه نفسها انحدرت أيضا من سلسلة البرمائيات ، وهذه بدورها من الأسماك البدائية ... ولقد صيغ الإنسان فصار إلى هذه الحالة التى تراه عليها اليوم من القوى والمواهب.انظر أيضا موجز تاريخ الإنسانية ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ـــ ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٤٦ ، وكذلك تاريخ العالم الذى أشرف على إعداده جون هامرتن ، ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ١٦٣ ؛ P . Rivet , Lorigine de Lhomme . ود / محمد السيد غلاب ، يسرى الجوهرى فى كتابهما الجغرافيا التاريخية عصر ما قبل التاريخ وفجره ، ص ١٩٧ ، يتحدثان عن الإنسان القرد » .

أطفالها ، وسبت نساءها وسلبت خيراتها ، واغتصبت أرضها ، فلا شيء عليها ، طالما تمسك بزمام القوة التى تمكنها من تحقيق أهدافها ، وطالما كان أفرادها من جنس معين .

فالإنسان فى ضوء هذه النظرية الحيوانية لم يخلق لغاية سوى غاية الحيوان ، التى تتمثل فى الحصول على الطعام والشراب ، والتناسل والتكاثر ، وبالتالى فالصراع بين بنى آدم هو صراع على احتياجات الحياة المادية التى هى حق لمن يحصل عليها بأية وسيلة وإن كانت غير مشروعة .

المستشرقون ومن سار على نهجهم حريصون على هدم الإسلام :

وكُتَّاب التاريخ الذين تبنَّوا ذلك التفسير اللادينى لتاريخ البشرية حريصون على هدم الإسلام وكونه عقيدة ، ونظام حياة شامل ، اقتصادى ، وسياسى ، وثقافى ،وتعليمى ، وجهادى ، صالح لكل زمان ومكان ، وبالتَّالى زعزعة ثقة بنى البشر فى رب الكون ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، مع تشويه تاريخ الأمة المسلمة ــ الواقع التطبيقى لذلك الدين ــ وتزييفه وبعثرته حتى لا تهتدى الأمة المسلمة إلى ذاتها وغايتها . أى الانطلاق من العداء للاتجاه الدينى عامة والاتجاه الإسلامى على وجه الخصوص . وتحقيقا لهذا المنطلق فإن المشتغلين بالتاريخ من غير المسلمين ومن سار على نهجهم قد تواصوا بوسائل منها :

التجاهل والتجهيل بالبداية الحقيقية للدين الإسلامى ، وبالبداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة الواقع التطبيقى للإسلام والذى تحقق فى أمم عاشت على سطح الأرض [1] .

وذلك يعنى فى تصور هؤلاء المشتغلين بالتاريخ أن الدين الإسلامى لا وجود له قبل رسالة محمد ﷺ وهذا يعنى أيضا طبقا لتصورهم المنحرف أن آدم لم يكن مسلما ، وكذلك نوح ولوط وإبراهيم ويعقوب وسليمان وغيرهم من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

---

(١) ماتسمى دائرة المعارف الإسلامية ، معالم تاريخ الإنسانية ، تاريخ العالم ، قصَّة الحضارة ، موسوعة تاريخ العالم ، وكل المراجع والمصادر التى كتبت تحت تقسيم التاريخ القديم والدراسات الأثرية ، (حضارة مصر والشرق القديم) تأليف د . إبراهيم رزقانة وآخرين ، مصر والشرق الأدنى القديم ، تأليف د ..نجيب ميخائيل ، انتصار الحضارة تأليف ج . هنرى برسند ، تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ، نفس المؤلف . الحيثيون تأليف ا . د جرنى ، الحضارات السامية القديمة تأليف موسكاتى .

وهذا يعنى أيضا طبقا لتصورهم المنحرف الموجّه ، أنه لم يكن هنالك وجود لقوم نوح المسلمين ، ولا لقوم هود ، ولا لقوم صالح ولا لقوم إبراهيم ولا لقوم يعقوب ولا لقوم موسى ولا لقوم إسماعيل المسلمين عليهم السلام قبل بعثة محمد ﷺ ، وبذلك يعزلون تاريخ الأمة المسلمة التى سبقت رسالة (محمد) ﷺ عن بقية تاريخ الأمة المسلمة والتى تضرب بجذورها إلى عهد آدم عليه السلام ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ (١) ، والتى يمتد تاريخها عبر آلاف السنين .

وقد ترتب على تبنى هذا المنطلق من قبل المستشرقين ، ومن سار على نهجهم فصل هذا الجزء العزيز الغالى الكبير والأساسى من تاريخ الإسلام ، وتاريخ الأمة المسلمة منذ أقدم الدهور بداية بآدم عليه السلام ، وحتى قبيل بعثة محمد ، ﷺ ، وأطلقوا عليه اسم « التاريخ القديم » ، « تاريخ مصر القديمة » ، « العراق القديم » ، « الشرق القديم »(٢) بلاد الشام القديم ... وحولوه إلى تاريخ وثنى جاهلى : « مصر الفرعونية » ، « العرب فى الجاهلية ، العرب قبل الإسلام » بل وأطلقوا على هذه الفترة عصور ماقبل التاريخ ، والعصور الحجرية ، التى أثناءها لم يكن الإنسان الحيوان يعرف له ربا ولا يعتنق ديناً ، فنشأت لدى الإنسان عاطفة التدين من مشاهدة الحيوانات التى تخاف من القوى الخفية ، وتخاف البرق والرعد ، فبدأ يتخذ لنفسه آلهة على قدر نضوجه الفكرى (٣) ، أى أن الدين من اختراع العقل البشرى .

وترتب على ذلك المنطلق أيضا معالجة تواريخ الأمم التى سبقت بعثة محمد ﷺ ، بما فى ذلك تاريخ أوربا (٤) ، على أنه تاريخ وثنى جاهلى محض لا أثر فيه لوجود الله ، ولا لدين هو الإسلام ، طلب الله من البشرية أن تعتنقه ، ولا لنظام ولا لشرع ربانى طلب الله من بنى آدم أن يخضعوا حياتهم له . ولا وجود لرسل أرسلوا من قبل الله عز وجل ، يطلبون من الناس عبادة الله وحده بلا شريك أى انتفاء التكليف الربانى لبنى البشر .

والنموذج لذلك يتضح لنا من كيفية معالجة المستشرقين لما يسمى بالتاريخ القديم ،

---

(١) الأنبياء : ٩٢ .

(٢) ديانة مصر القديمة ؛ الشرق الأدنى القديم ، (مصر والعراق) ، حضارة مصر والشرق القديم ، عرب قبل الإسلام .

(٣) تطور الفكر والدين فى مصر القديمة .

(٤) تاريخ الحضارة الهلينية ، تأليف أ . توينبى ، ترجمة رمزى عبده جرجس .

تاريخ مصر والعراق ، بلاد الشام والجزيرة العربية [1] منذ أقدم الدهور ، التى أسقطت تماما أى دعوة إلى الإسلام حملها رسل الله فى حياة الأمم التى سكنت تلك البلاد وبهذا أصبحت جميع الأمم ، بلا استثناء ، تنظر إلى هذه الفترة من تاريخها ، على أنها خلقت وتركت هملا ، فلم تكن تعرف لها ربا ، ولا ترتضى لنفسها دينا .

ويسير فى نفس الاتجاه السالف الذكر ، علماء الآثار من المستشرقين الذين يحرصون على طمس أية قرينة أثرية أو ملامح تاريخية تؤكد أن الله سبحانه وتعالى قد فطر البشرية على الإسلام . وارتضاه لها دينا وبه بعث الرسل . وعندما تظهر قرينة رغما عنهم ، تؤكد أصالة خط توحيد الله فى حياة البشرية راحوا يعزونها إلى تطور الفكر البشرى .

وأصحاب منطلق التجاهل والتجهيل بالإسلام لا يستندون إلى دليل سوى الجهل والجهل لا يصلح أن يكون دليلا .

وهكذا .... إذا قدِّر للإنسان أن يرجع إلى الموسوعات التاريخية [2] ، ليتعرف على تاريخ البشرية ، يجد أن كتابها قد تعرضوا لخلق الكون ، وكيفية حدوث ذلك ، وتعرضوا لخلق الإنسان ، وكيفية حدوث ذلك ، وتعرضوا لتاريخ الأديان — ومنها الإسلام — والأساس الذى قامت عليه ، ولكن تعرضهم لهذه الموضوعات لم يكن موفقا بأى حال من الأحوال ، نظراً لأن كل التفسيرات التى قدموها لما طرحوه من موضوعات قد جانبها الصواب ؛ لأنها تمت بمعزل عن القرآن وسنة النبى محمد ﷺ .

ولقد ترتب على ذلك نتائج بعيدة المدى ، مما لا شك فيه أنّها ليست فى مصلحة بنى آدم ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

والذى يهمنا بالدرجة الأولى الآن ، هو التصحيح ، فلا بد من تعريف الناس بالخالق رب العالمين والتعرض لتاريخ الكون ، وما خلق فيه ؛ لأنّه لا حجة لنا أمام الله إذا عالجنا تاريخا عاما للكون بتجاهل الكون وخالق الكون سبحانه وتعالى ، ولا حجة لنا أمام الله إذا

---

(١) الحضارات السامية القديمة ، وكل ما كتب فى مجال التاريخ القديم ، والدراسات الأثرية .

(٢) ماتسمى بدائرة المعارف الإسلامية ، تاريخ العالم ، موسوعة تاريخ العالم ، معالم تاريخ الإنسانية (انظر أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء ، منهج كتابة التاريخ الإسلامى لماذا وكيف ؟) دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة .

أخذنا فى رواية تاريخ الإنسان دون التعريف بهذا الكون الذى استخلف فيه الإنسان لأداء دوره المقدر له والمرسوم له من الله رب العالمين ، مع بيان حقيقة العلاقة بين خالق الكون والكون ، وبين خالق الإنسان والإنسان وبين الكون والإنسان ، ليدرك أبناء آدم أن تاريخهم محكوم بنظام دقيق من صنع إله حكيم ، خلق كل شيء فقدره تقديرا ، وأن تمرد بنى آدم على هذا النظام أو محاولة الصدام به أو تجاهله ، يجرهم إلى شقاء دائم فى الدنيا والآخرة .

وقد يثير الحاقدون على الفكرة الإسلامية ، مناقشات عقيمة حول أهمية هذا التاريخ ، فيزعمون أن معالجة هذا الجانب من اختصاص رجل الدين ، فيفصلون بذلك بين التاريخ والدين ، ونسوا أن دراسة التاريخ فرض على الكفاية ، وأنه خادم للعلوم الشرعية (الإسلامية) ، وأن المؤرخين من المسلين الأوائل ، ماعرفوا الفصل بين التاريخ والدين ، وأن هذا الفصام النكد بين التاريخ والدين ، ما عرفته البشرية إلا فى عصرها الحالى ، على أيدى أعداء البشرية من المستشرقين ومن سار على نهجهم .

ويكفينا أن نردهم إلى صوابهم هنا بكلمة بسيطة ، لماذا تسمحون لكتاب التاريخ أن يتعرضوا بمعزل من العقيدة الإسلامية لتاريخ خلق الكون والإنسان والدين ، ويقدموا لنا تفسيرات جاهلية قاصرة غير صحيحة [1] ثم تضعونها على عيونكم ورؤوسكم ، ولا تردونهم

---

(١) إذا رجعنا إلى « موسوعة تاريخ العالم » ، التى أشرف عليها لانجر ، الجزء الأول ، نجد أنه يعالج موضوع الإنسان تحت العناوين التالية : تحول الإنسان من حيوان إلى إنسان ص ٣ ، القردة وأشباه الإنسان .. ص ٦٢ .

كما أن « تاريخ العالم » الذى أشرف على إعداده جون هامرتن يبدأ بمعالجة تاريخ العالم تحت العناوين التالية :

مافائدة التاريخ ؟ ، عرض موجز لدراستنا الخاصة بما قبل التاريخ ، مولد العالم ، تكوين الأرض والحياة على الأرض قبل أن يكون الإنسان ، تطور الإنسان ، الجماعة البدائية وأصول الأجناس (ص ٤٣) .

وفى ثنايا صفحات هذه الموسوعة نقرأ مقالا لشخص يسمى جينز : « كيف يستطيع علم الفلك والعلوم الطبيعية أن تفسر منشأ الأرض تفسيرا عقليا ؟ (ص ٤٣) .

وفى ثنايا هذه الموسوعة تقرأ مقالا لآثر كيت عن : تطور الإنسان ، كيف يتضافر علم الإنسان وعلم التشريح على إثبات ارتقاء الإنسان ارتقاء بطيئا من الأحياء الدنيا ؟ (ص ٤٣) وأسلاف النوع الإنسانى (الإنسان القرد) ص ١٦٣ كما نقرأ مقالات عن اختراع الزراعة ص ٤٨ ، واختراع الدين ص ٤٩ . (انظر أيضا ولز ، معالم تاريخ الإنسانية ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٣) .

وهكذا نلاحظ أن الذين اشتغلوا بصناعة التاريخ قد تعرضوا لموضوعات ليس لديهم مقومات البحث فيها ، أو إعطاء تفسيرات صحيحة لها ، لذلك فإن تفسيراتهم إذا نظرنا إليها فى ضوء العقيدة الإسلامية ـــ نرى أنها قد =

إلى صوابهم ، وتقولون لهم : أنتم لستم مؤهلين للخوض فى هذه الموضوعات وتقديم تفسيرات لها ؟ ؟ لماذا لا تقولون لهم : إن تفسيراتكم خاطئة ؟ ؟ وكتاباتكم للتاريخ على هذا الأساس ليس لها سند من الحقيقة ؟ ؟ بدلا من أن تقفوا فى وجه المسلم وتزعموا أن هذا ليس من اختصاص رجل الدين ، وأنه ليس هناك صلة بين التاريخ والدين ؟ ؟ .

المؤلفان

جمال عبد الهادى وزوجه وفاء رفعت

جانبها الصواب .

وذلك يستلزم منا التصحيح ، وإعطاء معلومات صحيحة عن الموضوعات التى أثاروها ، وهذه الموضوعات لا يملك العالم بأسره فيها خبرا يقينيا واحدا إلا من خلال كتاب الله ، القرآن الكريم ، وسنة نبيه محمد ﷺ .